

«رحلة سعيدة» في حافلة معطلة يقودها إرهابي تائب

عرض مصري ساخر يناقش الإرهاب والمواطنة والطبقية محاولا علاج التطرف بالفكر

لا يتوقف المسرح المصري عن إثارة القضايا الراهنة، ومن أبرزها الإرهاب، الذي بات مادة خصبة للدراما والسينما والأدب ومحور العديد من الأعمال المسرحية. ولكن مقاربة ظاهرة بهذه الخطورة تتطلب جهدا مضاعفا، بين الجماليات الفنية ومعالجة الأفكار بعمق، وإلا سقطت الأعمال في المقاربات الساذجة.

سماح السيد
كاتبة مصرية



حملت المسرحية المصرية «رحلة سعيدة» التي عرضت على مسرح بيرم التونسي بالإسكندرية عدة رسائل عن الإرهاب والمواطنة والطبقية وعلاج الفكر المتطرف بالفكر المستنير، من خلال صك الإرهاب بعد أن رأيناه ملتصقا بالوجهة والتجوال التابع لوزارة الثقافة المصرية.

المخرج نجح في تقديم عدد من الطاقات الإبداعية الفنية الشاب الواعدة التي تألفت على خشبة رغم الهنات

يقدم العرض من خلال أتوبيس يقوم برحلة إلى مدينة شرم الشيخ على البحر الأحمر، ويضم عددا من الركاب ينتمون لأعمال مختلفة وتتنوع طوائفهم المجتمعية ويتشاركون في الرحلة، منهم ابن رجل الأعمال، وعامل سباجة، وعريس وعروسية، وأقباط، وصحافية، ومرشدة سياحية، فضلا عن طبيب نفسي، وممثل مغمور.

سذاجة فنية

يقوم البناء الدرامي لنص مسرحية «رحلة سعيدة» على فكرتين أساسيتين، كلتاها مقبسة بشكل أو آخر من أعمال فنية شهيرة الأولى تعطل أتوبيس الذي يقل عددا من طوائف المجتمع في الصحراء، وهي فكرة تكاد تكون منقولة حرفيا من المسرحية الشهيرة «سكة السلامة» للكاتب المصري الراحل سعد الدين وهبة، بطولته سميرة أيوب وتوفيق الدقن وإنتاج عام 1964، والثانية من تيمية «الإرهابي» المتكررة الذي يتوب عن إرهابه بسبب تفاعله مع المواطنين الصالحين أصحاب الفكر المستنير.

فقد استهلكت فكرة الإرهابي المتطرف الذي يصطدم بعدد من المواطنين يقنعونه بالتوبة، من خلال أعمال فنية عديدة، منها فيلم «الإرهابي» للفنان المصري عادل أمام، وفيلم «كباريه» بطولة خالد الصاوي وفتحي عبدالوهاب. تبلغ السذاجة قمتها عندما يصعد الإرهابي «أبو منصور» إلى الحافلة بالخطأ، ولا نعلم ما الذي منح هذا الاسم صك الإرهاب بعد أن رأيناه ملتصقا بالإرهابيين في أكثر من عمل فني آخرها مسلسل «القاهرة- كابل» للفنان طارق لطفي.

فكرة صعود الإرهابي للحافلة بالخطأ بدت غير مقنعة، فملاحم الركاب مصرية صميمية ولا تمت للأجانب نوي الملاحم الشقراء والعيون الملونة بصلبة. تستمر السذاجة عندما يكشف «أبو منصور» أن المرشدة السياحية في الفتاة الأتوبيس هي حبيبته السابقة، الفتاة التي تقدم لخطبتها في السابق وتم رفضه، وبسببها تحول إلى إرهابي عاشق للقتل وسافك للدماء، ويقوم بتفكيك كل أفراد المجتمع من حوله.

لم يتضح المنطق الذي بنى عليه المؤلف محمد الصواف فكرته في تحول الإنسان العادي إلى إرهابي، جراء الفضل في الحب ورفض الزواج من فتاة أحلامه، وكان من الأجدى أن يكون قد تعرض لظلم ما، أو أن يكون سقط بين أيدي إرهابي يتبنى أفكارا خاطئة ينقلها إليه. أما الفضل في الحب فينتج عنه غير غيرة وصد وجحرا وإحباط وإغراق في الملمات لتعويض الحب الضائع، وليس التحول للقتل والعنف بلا هوادة.

بعد محاولات إقناع عديدة من ركاب الحافلة للإرهابي الذي يتكف عن شخصيته، ويهددهم بتفجيرها عن طريق حزام ناسف وضعه حول خصره، فجأة يستجيب «أبو منصور» لهذه المحاولات ويقرر التوبة والتراجع عن ممارسة الإرهاب.

استمرارا لمسلسل اللامنتطق، اكتشف «أبو منصور» أن المرشدة السياحية هي حبيبته السابقة التي تقدم للزواج منها ورفضه أهلها بسبب فقره، وتدور بينهما أحاديث مطعمة بالذكريات والشاعرة

الدافئة لإقناعه بالتراجع عن تفجير الحافلة. لحظات خالية من المبرر الدرامي يتحول الرجل إلى شخص صالح يرفض الإرهاب أو الاستجابة لأوامر أمير الجماعة الذي يتواصل معه عبر الهاتف المحمول، وأمره أن يفجر الحافلة حتى لا يعلم أحد بشخصيته كقباي في الجماعة الإرهابية.

تناول العرض فكرة الطبقة من خلال عامل سباجة محدود الثقافة يهوى الغناء، على الرغم من أن صوته يبدو أجش ولا يصلح للطرب، فيشتبك معه ابن رجل أعمال ليرغمه على عدم الاستمرار في الغناء، يدور بينهما صراع طبقي على طريقة الناس «اللي فوق والناس اللي تحت»، أي على طريقة الصراع الطبقي، وهي فكرة مستهلكة وتم تناولها في الكثير من أفلام في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي في مصر، والتي قدمت مع بداية عصر

الانفتاح الاقتصادي آنذاك في البلاد. تطل فكرة المواطنة برأسها من خلال عربيين مسيحيين، ويتكاتفان مع باقي المسلمين في الحافلة ضد الإرهابي الذي حاول إشعال نار الفتنة الطائفية بينهم، عبر مشاهد كوميدية تثير الضحكات قدمها البعض من المواهب الشاب الواعدة في المسرحية، ويدعمهم الفنان المخضرم محمد فاروق.

أحداث بلا منطق

تعطلت الحافلة في الصحراء وهو حدث غير مبرر، ومع أن التعطل نسخة من فكرة مسرحية «سكة السلامة»، فالطريق من القاهرة إلى شرم الشيخ لم يكن قد تم إنشاؤه بهذه الصورة الحضارية في المسرحية الأولى، ومن الطبيعي أن يتوه في الصحراء، أما الآن فالطريق معبد وممهّد وملء بنقاط التفقيش الخاصة بالشرطة والجيش، فأين الطريق

الصحراوي المقفر الخالي الذي تعطلت فيه الحافلة، كما تقول المسرحية. جاءت نهاية العرض مفتوحة بسريران صوت سيارات الشرطة، حيث اتصل أحد الركاب بالأمن للقبض على الإرهابي، ما وضع المزيد من علامات الاستفهام الجديدة، حول جدوى النهاية التي تترك المخرج أسيرا للعمل ليفكر كيف تكون النهاية، ألم يكن من الأفضل أن تكون مغلقة ولا تدع مجالاً للتفكير ولو لحظة واحدة في أن الإرهاب والشر قد ينتصران على الأمن والخير.

حسب للعرض تقديم بعض المشاهد الكوميدية، خاصة من نجم الكوميديا الذي يمثل بطريقة السهل الممتنع محمد فاروق. كما أحسن مصمم ديكور العرض وليد جابر تجسيد العمل بصورة مبهره من خلال ديكور عبارة عن حافلة على خشبة المسرح تدور داخلها كل أحداث الرواية.



المسرحية تفتبس ملامحها الفنية من «سكة السلامة»

وظهر اهتمام المخرج محمد مرسي بتفاصيل الإضاءة ودعم نص المسرحية من خلال مشاهد كوميدية وحماسية، خاصة مشهد العريس والعروسة، والجدل بين المغني وابن رجل الأعمال ودعم باقي ركاب الحافلة لابن رجل الأعمال للزود إليه طمعا في أموال والده. فكرة رجال الأعمال وسيطرتهم على مقدرات الناس انطلقت من خلال العرض في شخص ابن رجل الأعمال الكبير الذي كان وجوده في الحافلة بين الركاب العاديين غير منطقي، فالأولى أن يستقل الطائرة التي لا يستغرق السفر بها من القاهرة إلى شرم الشيخ ساعة واحدة، بدلا من رحلة العذاب الطويلة بالحافلة. نجح المخرج في تقديم عدد من الطاقات الإبداعية الفنية الشاب الواعدة التي تألفت على المسرح، وطاف بالعرض في عدد من محافظات المصرية على أمل نشر الثقافة والتنوير والخروج من حيز الضيق في القاهرة أو الإسكندرية.

المسرحيون المغاربة يطالبون بإعادة فتح المسارح وقاعات العروض

الاجتماعية والاقتصادية لحالة الطوارئ الصحية، خصصت بموجب طلب عروض استثنائي غلفا مليا بقيمة 50 مليون درهم لدعم المشاريع الفنية والكتاب والنشر، فضلا عن اتخاذ عدد من التدابير تهم مجالات حقوق المؤلفين، ووضع السينمائيين، والمسرح والموسيقي والفنون التشكيلية.

المسرح ممارسة وذرية مستمرة ومتواصلة لا تقبل الانقطاع والانحسار لمدة طويلة، شأنه في ذلك شأن الممارسة الرياضية

كما سبق لوزير الثقافة والشباب والرياضة عثمان الفردي أن أعلن عن تخصيص 10 ملايين درهم لتفعيل مجموعة من التدابير الرامية إلى دعم القاعات السينمائية بعد تراجع عائداتها بسبب تداعيات جائحة كورونا، مؤكدا على ضرورة حمايتها «باعتبار أنها الرابط المركزي في الصناعة السينمائية، وسيطها ثقافيا إلى جانب دورها المهم في المساواة الجالية».

وكشف الوزير أنه سيتم التكفل ببعض المستحقات المالية لدور السينما، إلى جانب تخصيص دعم مالي استثنائي للعاملين في القطاع من أجل إعادة فتح دور السينما، مشيرا إلى أنه سيتم كذلك إطلاق حملة تواصلية من أجل إخبار المواطنين باستئناف القاعات السينمائية أنشطتها والتسويق للسينما المغربية.

أشارت النقابة إلى أنها سبق أن اقترحت على المسؤولين الحكوميين تدابير عملية تسمح للفنانين باستعادة أنشطتهم مع مراعاة كل التدابير الاحترازية والوقائية الموصى بها واعتماد إجراءات تنظيمية مبنية على التخفيف في العنصر البشري والحيز الزمني.

وخلصت إلى القول إن «المسرح ممارسة وذرية مستمرة ومتواصلة بانتظامية ومتواترة لا تقبل الانقطاع والانحسار لمدة طويلة، شأنه في ذلك شأن الممارسة الرياضية، مما يقتضي الاستمرارية ولو بشروط دنيا وفق بدائل ذكية»، داعية إلى استمرارية البرامج المرتبطة بالموسم المسرحي بشكل خلاق يتلاءم مع الظروف الطارئة «التي لا ينبغي أن تكون، بأي شكل من الأشكال، مبررا للتوقف الكلي للحياة الثقافية».

الصرخة التي أطلقتها النقابة المغربية لمهنيي الفنون الدرامية تردد صداها أيضا لدى مستغلي القاعات السينمائية، حيث نهيت «الغرفة المغربية لقاعات السينما» في رسالة موجهة إلى الوزارة الوصية على القطاع إلى الوضع الذي يعيشه المهنيون جراء إغلاق دور السينما لأزيد من 400 يوم، مسجلة أن الدعم الحكومي الذي استفاد منه العاملون ومستغلو القاعات السينمائية يمكن بالكاد، من تغطية التكاليف الثابتة لسبعة أشهر من أصل 14، في الوقت الذي تقلصت فيه موارد العاملين بنسبة تتراوح بين 20 و80 في المئة.

وتجدر الإشارة إلى أن وزارة الثقافة والشباب والرياضة وعيا بمساهمة المبدعين، فنانين ومؤلفين، في خلق وتعزيز التماسك الاجتماعي والقدرة على الابتكار، وحرصا على التخفيف من الآثار

انتظار زوال الجائحة، مهيبة جميع المسرحيين المغاربة «المزيد من التعتة من أجل الدفاع، بكل الوسائل المتاحة، عن حقهم في ممارسة مهنتهم ومهمتهم الاجتماعية والثقافية والتربوية في ظل الجائحة، تشكل من أشكال التعايش الذي تعرفه باقي الأنشطة الأخرى والتي لا يمكن أن يكون فيه أب الفنون استثناء».

وبعد أن أكدت تفهمها للحجيات والمسببات التي أدت إلى اتخاذ قرارات متسندة من أجل حماية المواطنين والتصدي لتفشي وباء كوفيد - 19.



المسرح فن حي يحتاج إلى جمهور

والاستغاثات، مسجلة «غياب أي إجراء استعجالي لضمان استمرارية مجال المسرح والفنون الثقافية والفنية هذا الفن كعنصر مكون لهوية المغاربة الثقافية والحضارية، ولو في شروط دنيا في انتظار انحسار الوباء، أسوة بما هو معمول به في بلدان أخرى».

وطالبت النقابة في بيان لها، الحكومة بإعادة النظر في ما اعتبرته «إقصاء غير معقول»، والسماح بعودة الروح إلى مسارح المغرب وقضاءات العروض بشروط وتدابير استثنائية ومعقولة في

والتجارية والخدماتية ومختلف الأنشطة المهنية، مقابل نوع من الصرامة والحزم في ما يخص الأنشطة الثقافية والفنية ولاسيما مواصلة إغلاق فضاءات العروض، معتبرين أن التدابير التقييدية والاحترازية، وإن كانت تنقذ دواعيها، فإنها لا ينبغي أن تظل سيفا مسلطا على المجال الثقافي دون أن يباقي المجالات. وفي هذا السياق، أبدت «النقابة المغربية لمهنيي الفنون الدرامية» استغرابها وقلقها الشديد إزاء «تجاهل» الحكومة لكل النداءات

الرباط - تعالت مجددا أصوات العديد من الفعاليات والتنظيمات النقابية والمهنية التي تُعنى بالمشأن الثقافي في المغرب، مطالبة بإعادة فتح المسارح والقاعات السينمائية التي طالها الإغلاق منذ ظهور الحالات الأولى للإصابة بوباء كوفيد - 19 قبل أكثر من سنة.

واتخذت المطالب ببعث الحياة من جديد في أوصال هذه المرافق والقضاءات الثقافية زخما أكبر في الآونة الأخيرة في ضوء التحسن الملحوظ في المؤشرات المرتبطة بجائحة كوفيد - 19 بالمغرب، والتي قربت على إثرها الحكومة ابتداء من 21 مايو الجاري، تمديد فترة عمل المحلات التجارية والمطاعم والمقاهي إلى الساعة الحادية عشرة ليلا، مع الإبقاء على جميع القيود الاحترازية الأخرى التي تم إقرارها سابقا في حالة الطوارئ الصحية، والخاصة بالحفلات والتجمعات والتظاهرات وقاعات السينما والجنائز.

وقد خلف هذا القرار خيبة أمل لدى الفاعلين في قطاعي المسرح والسينما الذين كانوا يمتنون النفس بأن تجد مناسداتهم العديدة للجهات الحكومية المعنية صدق في تدابير التخفيف المعلنة عنها، وذلك مراعاة للظروف الاجتماعية والثقافية المغلقة التي يعيشها بشكل خاص مجال العروض الحية والنائمة أساسا عن فقدان الشغل إثر توقف الحياة المسرحية جراء التدابير الاحترازية المتخذة بمقتضى حالة الطوارئ الصحية.

وأخذ المسرحيون المغاربة على الحكومة تعاملها «المتسم باللونية والمرونة، منذ رفع الحجر الصحي، لفائدة سائر المجالات الاقتصادية